# خواطر ...

تمر بالمجاهد لحظات تضيق فيها نفسه بالدنيا وما فيها ومن فيها.. فبينما يرى أنَّه قد قطع مرحلة طويلة وأنَّ الهدف أصبح منه قاب قوسين أو أدنى، تراه العين المجردة وتكاد اليد تسلمه لمسًا وإذا بشياطين الإنس والجن من المستعمرين وأذنابهم يحملون مجاهدين بقوة قاهرة فيعيدونهم إلى أول الطريق، حيث بدأوا السير منذ نيف وثلاثين عامًا، فتظهر للمجاهد أشباح اليأس أمام عينيه فى أسمائها البالية فتمتلئ عيناه بالدموع ولكنه إذا أرجع البصر كرة إلى السماء أطلَّت عليه أرواح طاهرة فاضت باسم مصر واستشهدت فى سبيلها.. وهو يراها فرحة باسمة وبينها روح سعد العظيم الذى ما عرف اليأس فى حياته واحتمل فى سبيل بلاده التضحيات الجسام.. فيتبدد الضيق، وتختفى الأشباح الكريهة، ويعود للنفس اطمئنانها وأملها وكبرياؤها.

ويتبين أنَّ للأرواح الطاهرة حفيفًا، وزفيفًا بل إنَّ لها أصواتًا وحديثًا، يسمعه المجاهد ويعيه، فتطيب له نفسه بعد أن كادت تذهب شعاعًا، ويرتفع صوت سعد فى عليائه فيقول لا تهنوا ولا تمنوا على الوطن أنكم تجاهدون فى سبيله بل الله يمن عليكم أن هداكم للجهاد وأنكم لم تكونوا من جيل آبائكم الذى امتحنوا بالاحتلال وابتلوا بالاستعمار فاستسلموا راضين أو كارهين وعاشوا مكبوتين مقهورين وماتوا والحزن يمزق نياط قلوبهم.

وتدور الخواطر برأس المجاهد مرة أخرى. فيعود بذاكرته إلى عام 1919 لما كانت مصر كتلة واحدة ويسائل نفسه عما فرقها شيعًا وجعلها أحزابًا وقضيتها لم

تحل، وأهدافها لم تتحقق، وحقوقها مسلوبة، وحريتها منهوبة، وينتهى من خواطره إي أنَّ عيبنا فينا، وبلوانا منا، وما لزماننا عيب سوانا.

ولقد يذهب البعض إلى أنَّ الحكم هو الذى شتت شملنا وفرق كلمتنا، ولئن كان هذا حق إلى حد ما فإنَّ الواقع الذى لا مرية فيه أننا قد اختلفنا قبل أن نتصارع على الحكم وقبل أن تهيأ فى مصر أداته فى شكل نظام دستورى، لأنَّ حزبًا نبت فى مصر ولم يكن هناك دستور، ولا شجار على حكم وولاية، وقد عرف هذا الحزب عند الناس وعند المستعمرين بالاعتدال فى المطلب وناهض سعدا وناواه حتى مات.

وظلَّت مصر تسير فى طريقها وئيدًا وتهافت أحزاب القلة على الحكم يعطل جهادها فكلما خرجت من محنةٍ أركست فى محنةٍ أخرى.

وأخيرًا وقفت مصر من الإنجليز وقفتها المشهودة فألغت المعاهدة وصمدت للكوارث تتلاحق عليها، وخصوم المجاهدين. خصوم الأمة تحت ستار من التطرف فى الوطنية يختلقون لتلك الحكومة المشاكل، ويضعون فى طريقها الصعاب، فهم لم يجدوا زمنًا أنسب من تلك الفترة الحاسمة الرهيبة لينادوا بدعاياتهم عن الغنى والفقر، وليشكوا من الغلاء وارتفاع الأسعار، وهم لم يجدوا أنسب من تلك الفترة ليهاجموا حكومة الوفد وبرلمان الأمة وليشهروا بالجميع بالحق أو بالباطل، وسأفترض أنَّ دعواهم أو بعضها كانت حقًا فهل كانت تلك الفترة هى أنسب الأوقات للحساب أو العتاب.

ترى لو أنَّ إخواننا هؤلاء اتقوا الله فى بلادهم فوجهوا تلك الجهود الجبارة التى بذلوها لمحاربة الوفد نحو الخصم المشترك أفما كانت مصر ضيقت على ذلك الخصم الخناق وشدَّت حول رقبته الوثاق فاعترف لمصر بأهدافها وانتهى الأمر وأصبحنا أحرارًا، وانصرفنا إلى شئوننا الداخلية، وكان لهم عندئذ أن يطلبوا محاسبة كل مسئول عن كل فعل غير مقبول. جلَّ هذا الفعل أو هان.

ترى لو أنَّ إخواننا كانوا قد سلكوا هذا السبيل أفما كان فيه كل الخير لمصر والمصريين؟ فمن أسف أن يبلغ اللدد فى الخصومة هذا الحد فلا يستفيد منه إلا الخصم المشترك وهو العدو الألد.

ترى ألم يئن الأوان ليوجه خصوم الوفد حملتهم أو شطرًا منها نحو الغاصبين اللهم إن كانت الحملة المشبوبة على الوفد فى الحكم وبعد الحكم هو وسيلة الوصول إلى تحقيق الأهداف القومية فليزيدوها اشتعالًا.

لكننا نرى ويرى الناس معنا أنَّ العكس هو الصحيح، فالمستفيد هو الخصم والخصم وحده. والمستريح هو الخصم والخصم وحده، فقد هدأ باله واطمأن حاله وتبددت مخاوفه وزال وسواسه.

ربنا ياذا العزة والجلال إنك ترى أنَّ الحال قد تبدلت غير الحال، فإليك نرفع أكف الضراعة والابتهال أن تطهر نفوسنا وتؤلف بين قلوبنا. وتبصرنا فى شئوننا وتهدى إلى الصراط المستقيم المنحرفين منا.

ربنا وحِّد كلمتنا واكفل برعايتك كنانتنا فليس غيرك بقادر. وأنت وحدك القوى القاهر.. وأنت نعم المولى ونعم النصير.